# التكنولوجيا وأزمة اللغة العربية

## بين التهميش والانتشار

د. فؤاد محمود رواش
(الجامعة الإسلامية بماليزيا– كلية التربية)

د. أكرم محمد زكي
(الجامعة الإسلامية بماليزيا– كلية تقنية المعلومات والاتصالات)

**مقدمة:**

لم نعد بحاجة إلى التأكيد على وجود العديد من الشكاوى الواردة من كافة أرجاء الوطن العربي من الضعف العام في اللغة العربية، وتلك الشكاوى من الكثرة والتنوع بحيث يعتبر تجاهلها أو السكوت عنها خيانة لأمة عريقة، وتفريطا في أمانة عظيمة، وإن مجرد إدراك تلك الحقيقة يوجب علينا إلزاما نحن أبناء العربية التصدي لتلك الظاهرة بالغة الخطورة، نسقصي مظاهرها، ونحصي أسبابها، ومن ثم نفكر في سبل التغلب عليها في ضوء الظروف والمتغييرات العالمية الراهنة، ولسنا بدعا في ذلك، فقد سبقتنا أمم كثيرة هبت للدفاع عن إحياء لغاتها وترسيخ وجودها، تحت ما يعرف بالسياسة اللغوية، أو التخطيط اللغوي، وتتعدد صور تطبيقات التخطيط اللغوي الحديث ومن أبرزها:[1] التنقية اللغوية، ومن أوائل الدول التي مارست هذا التطبيق فرنسا، حيث أصدرت نظاما لحماية اللغة الفرنسية من المفردات والمصطلحات الدخيلة ووضعت نظاما ملزما لقرارات حماية اللغة الفرنسية، كما قامت تركيا بتطبيق مماثل عندما اتخذ أتاتورك قرار التتريك وتغيير حروف اللغة التركية من الحروف العربية الى اللاتينية، والأمثلة على ذلك كثيرة يطول الحديث عند تناول تفاصيلها، ونكتفي بالإشارة إلى أهم أماكن الصراع اللغوي ومنها بلجيكا بعد أن فقدت الاستقرار، وكندا بعد التخلص من السيطرة الفرنسية، وأسبانيا حبث الصراع بين اللغة الكاتالونية واللغة القشتالية، وليس الصراع اللغوي الدائر في الهند بأقل من الصراع في الأماكن السابقة.

ومن أمثلة تطبيق هذا التخطيط اللغوي كذلك ترقية لغة بذاتها، حدث هذا في ترقية اللغة السواحيلية لتصبح لغة وطنية في تنزانيا , وكذلك ترقية اللغة الماليزية لتصبح بديلا عن لغة المستعمر في منطقة جنوب شرق أسيا، والصورة الثالثة إحياء اللغات الميتة، وطبق هذا التخطيط اللغوي على إحياء اللغة العبرية التي كانت مهجورة لقرون طويلة، حيث عمل أهلها على تحديثها وبعثها من جديد لتصبح لغة قومية تدرس بها جميع العلوم، وأيضا إحلال اللغات القومية محل اللغات الأجنبية في التعليم . وطبق هذا في اليابان وروسيا و

كوريا و الصين وفيتنام. ومن بين هذه الصور كذلك صورة الدفاع عن منزلة لغة ما وأكثر من مارس هذا التخطيط اللغوي الدول ذات اللغات الرئيسية في العالم دفاعا عن منزلة لغاتها لتصبح لغة عمل دولية او إقليمية في المنظمات الدولية.

ولايزال أمر الاهتمام باللغة القومية يشغل بال أصحابها، ويولونه عناية كبيرة، فهاهو ذا تقرير الرئيس الأمريكي رونالد ريجان الذي قدمه بخصوص اللجنة الوطنية للتميز التربوي عام 1983 " يستعرض التقرير دراسات مختلفة تُشير إلى تدني التحصيل الأكاديمي على الصعيدين الوطني والدولي. فعلى سبيل المثال، يُشير التقرير إلى أن متوسط تسجيل **سات** انخفض لأكثر من 50 نقطة في قسم قواعد اللغة ... وأن هناك قرابة أربعين في المائة من اختبار الذين تتراوح أعمارهم بين 17 عامًا لم يحصلوا على استنتاجات ناجحة من المواد المكتوبة، وأن هناك الخُمس فقط يمكنهم كتابة موضوع إنشائي مُقنع "وللتغلب على المشاكل التي أحصاها التقرير فقد أوصت اللجنة بعدة توصيات جاء في مقدمتها:

"المحتوى: لطلاب المدارس الثانوية: (أ) 4 سنوات لتعلم اللغة الإنجليزية؛ (ب) 3 سنوات لتعلم الرياضيات؛ (ج) 3 سنوات لتعلم العلوم؛ (د) 3 سنوات للدراسات الاجتماعية؛ (هـ) نصف عام لتعلم علوم الكمبيوتر. وأوصت اللجنة أيضًا أن يتعلم الطلاب إتقان اللغة الأجنبية بدءًا من الصفوف الابتدائية "[2] يلاحظ هنا مدى الاهتمام والتركيز على تعلم اللغة، وما ذكر هنا يكاد يكون عاملا مشتركا بين كل الدول المتقدمة مثل الصين واليابان وبريطانيا وغيرها.

مشكلة هذه الورقة تكمن في محاولة الكشف عن واقع تراجع اللغة العربية محليا وعالميا، في الوقت الذي باتت كل الدول القوية تبذل جهودا علمية ومادية ضخمة من أجل نشر لغاتها عالميا فضلا عن ترسيخ تلك اللغات محليا، كما تحاول هذه الورقة الإجابة عن سؤال يتعلق بتحديد مظاهر الضعف في تعليم العربية والحد من انتشارها، وأخيرا وضع السبل العملية المقترحة للتغلب على مشكلات تعليم العربية وانتشارها، وذلك من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة في هذا الصدد.

ونود أن نشير إلى أن إجادة اللغة العربية وانتشارها ليس أمرا محدثا، فقد دخلت العربية العديد من البلدان الإسلامية، كما دخلت الأندلس وكانت لغة العلم والحضارة والثقافة، وقد شيد المسلمون حضارتهم من لبنات التراث العلمي الضخم الذي تركه لنا علماؤنا الأوائل، ولم يكن هؤلاء العلماء عربا خلصا، وإنما كانت لغتهم التي أجادوها هي اللغة العربية، وفي هذا الصدد لا يغيب عن بالنا ذلك الدور الكبير الذي لعبه المستشرقون في مجال نشر العربية وتعليمها لطلابهم في مدارسهم وجامعاتهم، ولم يكن ذلك ليأتي منهم ما لم

يكونوا قد أدركوا أهمية الدور الفاعل عالميا للغة العربية، الأمر الذي جعلهم يبذلون في سبيلها سنواتٍ من أعمارهم بغض النظر عن الأغراض التي كانت باعثاً أو حافزاً يغذي طموحاتهم، ومن الجدير بالذكر أن نثبت هنا أن العرب أنفسهم كانت لهم إسهامات في تفعيل مسيرة الاستشراق الأوربي. فهل من الممكن أن تضاف هذه الإسهامات إلى عداد الأعمال التي قامت على دعم دراسة اللغة العربية وتقوية أسبابها في أوروبا؟ [3] وجملة القول في هذا الصدد فإن اللغة العربية بقدراتها اللغوية الكامنة التي أودعها الله فيها، وبفضل جهود أبنائها المخلصين، وثراء الحضارة الإسلامية، استطاعت أن تجعل لها أنصارا ومحبين من غير العرب، وكان منهم علماء وأعلام عرّبهم الإسلام حتى كان منهم أصحاب المؤلفات الرائعة في قواعد اللغة وفي بلاغة الكتاب العربي المبين[4]

وفي المجال الاقتصادي أشارت إحدى الدراسات إلى أن أهمية تعلم اللغة العربية برزت بعد ظهور 6 بلدان ناطقة بالعربية بين أكبر أسواق التصدير للمملكة المتحدة وتدر سنوياً على الاقتصاد البريطاني أكثر من 12 مليار جنيه استرليني، ونوهت الدراسة إلى أن العربية صارت واحدة من اللغات ذات الأولوية بالنسبة إلى وزارة الخارجية البريطانية، وتخطط لزيادة عدد دبلوماسييها الناطقين باللغة العربية بنسبة 40%.[5]

يرى الباحث أن دورنا الآن هو محاولة استعادة العربية لمكانتها التي فقدتها منذ عدة قرون، وفي استعادة العربية لمكانتها عائد عظيم النفع لتحقيق هويتنا، وإثبات ذاتنا، ونشر ثقافتنا مما يقل من حدة العداء من جهة الغرب للأمة العربية، ذلك العداء الناجم عن تشويه الصورة العربية والجهل بحقيقتها، والظفر بمكان على خريطة العالم الحديث يليق بأمة عظيمة، هي خير أمة أخرجت للناس.

**تأثُّر العربية بالأحداث:**

إن تراجع لغة ما يعني تضييق مجال استعمالها، والتخلي عن جزء من دائرة شيوعها للغة أخرى، وهذا نوع من الخذلان والوهن، وهو وإن جاز للغة غير اللغة العربية، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يحدث للعربية، حيث إنها لغة دين وحضارة، وعلم وثقافة، كما أنها تمتلك من القدرات الكامنة من أصوات ومفردات وخصائص ما يجعلها قادرة على النمو والتطور ومن ثم الوفاء بمتطلبات الحياة المختلفة.

حظيت اللغة العربية منذ بدايات العصر الإسلامي بمكانة مرموقة، حيث كانت تجري على الألسنة صحيحةً سلسةً فصيحة، وظلت كذلك إلى بدايات العصر الحديث، إلى أن عرف الاستعمار طريقه إلى البلدان العربية، وإلى أن أصابها الضعف والتفكك فتراجعت الأمة في مختلف المجالات ومن بين تلك المجالات اللغة

العربية التي أصابها الوهن، وليس ذلك لنقص فيها، ولا لعيب اعتراها، وإنما بسبب من أبنائها أنفسهم، ثم بدأت تتعافى رويدا رويدا مع ظهور الحركات الاستقلالية، وأخذت في النهضة مرة أخرى بالتزامن مع النهضة التعليمية التي أخذت تعم الأمة بأسرها، وبدا ذلك واضحا على أيدي الكتاب والمثقفين، وعلى ألسنة المحامين في المحاكم، وفي مختلف مجالات استخدام اللغة، سواء السياسية، أوالاجتماعية، أوالدينية، أوالفنية، ومع بداية ضعف التعليم مرة أخرى في الآونة الأخيرة، كما بدا أثر العولمة السلبي على اللغة العربية واضحا وسريعا، فأخذت اللغة في التراجع بصورة جلية. وهكذا يمكن أن نبلور القضية في أن اللغة تقوى بقوة أهلها، وتضعف بضعف أهلها وتراجعهم، وهذا ما أقره علماء الاجتماع والتربويون، وعلماء اللغة، يقول الدكتور كمال بشر في ذلك: "إن جمود اللغة و تخلفها، ونموها، وازدهارها كل أولئك يرجع أولا وآخرا إلى وضع أهليها"[6]

ومن جانب آخر -كما هو معروف- فإن العربية عرفت طريقها إلى خارج موطنها بشكل ملحوظ مع ظهور الإسلام، وخاصة في الفترة التي عرفت بفترة الفتوحات، وتم ذلك على أيدي التجار العرب الذين دعتهم الظروف لمخالطة أهل البلدان التي ينزلون بها بالتزاوج منهم وبناء أسر جديدة، وكذلك على أيدي الدعاة، وكان هؤلاء وهؤلاء في الغالب الأعم مثالا طيبا في الأخلاق والمعاملة، مما جعل أهل تلك البلدان يحبونهم، فأحبوهم وأحبوا لغتهم، ومع مرور الزمن أخذ طابع نشر العربية يتم بأسلوب مختلف، كما أضيف إلى أهداف تعليم العربية أهداف أخرى، بحيث لم تعد مقصورة على الجانبين الاجتماعي، والديني فحسب، فكتب للعربية الانتشار والتوسع بصورة ملحوظة، حيث تم إنشاء العديد من معاهد تعليم العربية للناطقين بغيرها، في العديد من البلدان الإسلامية، ثم تجاوز إنشاء تلك المعاهد حدود البلدان الإسلامية لنجد عددا غير قليل من تلك المعاهد يأخذ في الانتشار في بلدان أخرى لأهداف غير دينية، وربما بدعم مادي غير عربي أو إسلامي، ومع ظهور ثورة المعلومات بدت بعض البوادر السلبية التي أخذت تؤثر على انتشار العربية، وتراجعها سواء على المستوى الداخلي، أو الخارجي، وهذا ما سنستعرض أهم مظاهره في السطور الآتية.

**مظاهر تراجع العربية وأسبابه:**

**أولا: هيمنة اللهجات العامية**

لا يغيب عن بالنا تلك الهجمة الشرسة على اللغة العربية الفصحى لصالح اللهجات المحلية، تلك الهجمة التي قادها غير العرب، والتي وجدت لها أنصارا ومروجين لها من أبناء العرب أنفسهم، الأمر الذي أدي إلى هيمنة اللهجات المحلية، فمع بدايات القرن العشرين ظهرت على يد المستعمر محاولات شتى لتفتيت

الأوطان العربية، وفصلهم عن أصالتهم، وكان من بين تلك المحاولات جهود بُذِلَت لفرض لغته، وأخرى حاولت استبدال العامية بالفصحى في كل المعاملات اليومية والرسمية على السواء، ومما يؤسف له في هذا المجال أن تلك المحاولة لم تكن بأيدي أجنبية فحسب، بل استخدمت فيها أقلام عربية كذلك، وقد وجدت تلك المحاولات من يتصدى لها من الشعراء والأدباء، ولا يمكن أن ننسى هنا قصيدة الشاعر حافظ إبراهيم "اللغة العربية تنعي نفسها بين أبنائها" ولا ننسى كذلك الدور الذي قام به الأستاذ مصطفى صادق الرافعي دفاعا عن العربية، و رغم مضي فترة طويلة على دحض تلك المحاولات، إلا أنه من الملاحظ أن هيمنة العامية أخذت تطل علينا بصورة لا تخطئها عين، عبر وسائل الإعلام المختلفة، وذلك على ألسنة الساسة على اختلاف مستوياتهم، والقضاة، والمحامين ووكلاء النيابة، وغيرهم في كثير من المواقف التي يقبح فيها العدول عن الفصحى إلى العامية، يقول فؤاد رواش".... فعلينا أن نعترف سلفا أن أغلب ما تعتمد عليه البرامج الإعلامية لغويا يعد هجوما شرسا على اللغة العربية الفصحى"[7] ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تجاوزه إلى إقحام بعض المفردات الأجنبية دون وجود أي مسوغ لورودها اللهم إلا التنطع، وادعاء المعرفة.[8] ومن المخزي حقا تلعثم العربي في الحديث عندما تضعه الظروف أمام غير العربي الذي تعلم العربية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك وقائع ومجريات مناظرة باللغة العربية بين فريقين من طلاب الجامعة أحدهما من الناطقين بالعربية والآخر من الناطقين بغيرها، خلاصة تلك المناظرة التفوق الكبير للطلاب غير العرب على مستوى الطلاقة، والصحة اللغوية، والثقة في النفس، على حين كان الطلاب العرب يرفعون أصواتهم بالعامية رغم معرفتهم بشروط المسابقة التي منها عدم استخدام العامية، ولم يكن أمامهم من ستار يتوارون خلفه من الخجل غير الضحك.[9]

**ثانيا: الضعف العام في التعليم**

الاستثمار الأمثل لأي مجتمع يكون في التعليم بصفة عامة، وفي مقدمة ما يجب أن يتعلمه الفرد ويتقنه بعد دينه، لغته الأم وثقافة مجتمعه. مما لا يخفى على أحد، ولايحتاج إلى دليل شيوع الضعف العام في التعليم في المنطقة العربية، وحتى لا يتشعب الحديث بنا إلى موضوعات أخرى، فسوف نقصر القول على تعليم اللغة العربية، فمن الملاحظ أن افتنان الناس باللغات الأجنبية، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية، جعلهم يهملون العربية إهمالا كبيرا، سواء على مستوى البيت أو المدرسة، فبدأت بعض المدارس تفرض الإنجليزية منذ نعومة أظفار التلاميذ، أي في المرحلة السابقة على مرحلة التعليم الأساسي، وذلك حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي، في الوقت الذي نجد البيت أيضا يشجع الأبناء على استعمال اللغة الأجنبية في مواقف الحياة العادية، ومن مظاهر هذا التشجيع توفير المواد التعليمية المساعدة باللغة الأجنبية، وحث الأولاد على التواصل بتلك اللغة، ويتفاخر الآباء بأن أبناءهم لا يعرفون العربية، ولايتكلمون إلا اللغة الأجنبية، مكتفين بما

يعرفه الأبناء من العامية، وهذا عدوان سافر على اللغة الأم، يشبه الوأد في المهد، حيث تعد مرحلة الطفولة المبكرة أهم الفترات على الإطلاق التي تساعد الصغار على اكتساب اللغة.

وعلى صعيد أخر فإن المحتوى والمناهج التي تدرس بالعربية، سواء في المدارس أو الجامعات تجعل التلاميذ عند المقارنة بين مواد ومطبوعات اللغة الأم بمثيلاتها من اللغات الأجنبية يحسمون الأمر لصالح اللغات الأخرى. كما أن طرق تدريس العربية ومحتوى مقرراته مازالت تخلو من أساليب تنمية مهارات الإبداع، ومن عناصر التشويق التي لها دور كبير في تحبيب المادة إلى الطلاب.

ومن جانب آخر فالمطلع على البيئة المدرسية يجد أنها تنفر الطلاب من اللغة الفصحى، فلا مجال لاستخدامها وإبراز ما فيها من جمال عن طريق الأنشطة المختلفة التي تحث الطلاب على البحث والتحليل، مثل المناظرات بالعربية،، وكتابة اللوحات الإرشادية، والبرامج الإذاعية، بالإضافة إلى السلوك اللغوي لمدرسي المدرسة والعاملين فيها، حيث يرى مدرسو المواد الأخرى غير اللغة العربية أنهم غير مطالبين بالتدريس باللغة العربية الفصحى، وأنها حكر على مدرسي العربية الذين نرى بعضهم لسبب أو لآخر يتخلون عن استخدامها، ومما يزيد الطين بلة أن يتندر بعض المدرسين باستخدام الفصحى، واعتبارها عنوانا للجمود، ورمزا للتقليدية. بعد أن بين الدكتورعبده الراجحي أن العربية تحتل الآن مكانة بارزة في العالم المعاصر يقول:"ومع ذلك فإن تعليم العربية لا يرتقي إلى هذه المكانة، بل لا يصل إلى الحد الأدنى منها، وأراه وصل إلى مرحلة الداء العضال، ويكاد يبلغ حد الكارثة"[10]

من الأمور المؤلمة والمخزية أحيانا، ما نراه ونلمسه جميعا بوضوح شيوع ظاهرة كتابة الرسائل القصيرة العربية، بل وبعض الرسائل عبر البريد الإليكتروني باستخدام الحروف اللاتينية بحث نجد أن الجملة والرسالة كاملة عربية النطق ولكنها لاتينية الحروف، والعجيب أن الشباب باتوا يتقنون سرعة كتابتها وسرعة قراءتها بصورة ملفتة، معتبرين ذلك نوعا من التحضر والرقي، وعند توجيههم لخطورة ذلك يتعللون بحجج واهية أبسطها عدم وجود لوحة مفاتيح عربية لديهم، وهذا عذر أقبح من ذنب، فلو كانوا صادقين لحرصوا على اقتناء اللوحة المقصودة.

أما الذين يستخدمون الحرف العربي في الكتابة نجدهم يميلون لإقحام كلمات أجنبية بحروف عربية مثل "ذات زفت مومنت" و"لاحظت إنك كنت مأفورة أمس" وردت في إحدى شبكات التواصل الاجتماعي ضمن كتابة شخص متخصص في اللغة العربية، وأشهد أني ظننت الكلمة في البداية عربية وأنا لا أعرفها،

ولما سألت عنها وعرفت المقصود بها شعرت بشئ الألم. ومثل ذلك كثير جدا جدا سواء على مستوى الكتابة، أو الحديث.

**ثالثا غياب التخطيط اللغوي**

مما يؤسف له أن الأمة العربية على اتساع رقعتها، وكثرة أبنائها لا يوجد لديها تخطيط لغوي مشترك ناتج عن تصور علمي مدروس يتناول وضع العربية لغة الأمة من حيث بداية تعليم النشء اللغة الفصحى، وإلى متى يستمر تعليمها، ومتى يسمح للصغار بالتعرض لتعلم لغة أجنبية، وما المستوى اللغوي الذي ينبغي أن يحققه الفرد حتى يكون أهلا للالتحاق بالجامعة أو الحصول على وظائف معينة؟ وأسئلة أخرى كثيرة يمكن أن تثار في هذا المجال، الإجابة عنها يمكن أن تقود إلى تعلم أفضل للعربية. ولا أكون مبالغا لو قلتُ إن أعداء الأمة سواء من الداخل أو الخارج لديهم تخطيط لغوي، أساسه هدم العربية، وقد يكون هذا واضحا في تدخلهم في وضع مناهج التعليم في البلاد العربية. يشير إلى ذلك أحد الباحثين بقوله"... وقد ظل التدخل الأجنبي في مناهجنا التعليمية يتطور، فلم يكتف بمجرد الحذف مما هو موجود بل أعطى نفسه حق التدخل في وضع مناهج تعليمية جديدة، حيث طالعتنا وسائل الإعلام فور سقوط بغداد مؤخرا في إبريل 2003 بأن أمريكا تعد الآن برامج تعليمية جديدة للعراق"[11]

**رابعا: الدعم المادي**

إغفال أهمية تدبير تمويل لتعليم العربية، وإعداد البحوث العلمية التي يجب أن تسبق العملية التعليمية التي أشار إليها الدكتور عبده الراجحي في الورقة المشار إليها سابقا، له تأثيره السلبي على عناصر العملية التربوية المختلفة، وذلك مثل بحوث إعداد المعلم، وبحوث تنمية المهارات المختلفة مثل مهارة استخدام المعاجم العربية، والعوامل المؤثرة على اكتساب اللغة ، وتنظيم ورش العمل المتنوعة وما إلى ذلك.

**خامسا العوامل المحفزة**

لا ينكر أحد دور الحوافز وأثرها على الإنتاج، ولكن الملاحظ أن هناك إغفالا شبه تام لعنصر الحوافز وخلق الدافعية للإنجاز، حيث لا نرى حوافز ذات قيمة تذكر للمبدعين في مجال الأدب، والتربية، والفنون الراقية للمواد المعدة باللغة الفصحى، ويكفي أن نشير هنا لأمر شائع في الأوساط العربية، وهو أن الكثير من الوظائف المرموقة ماديا ومعنويا يشترط للحصول عليها إجادة اللغة الإنجليزية، حتى ولو كانت

الحاجة إليها قليلة، أما كان من الأولى أن يكون شرط إجادة العربية سابقا لشرط إجادة اللغة الإنجليزية؟ ليس ذلك تعصبا، وإنما هو حفاظ على الهوية.

**فوائد تعليم العربية محليا ودوليا**

إن إتقان العربية، والإبداع بها لهو خير وسيلة لنقل ثقافتنا، وتعريف الآخر بنا، فمن المعروف أن اللغة وعاء الثقافة، عدد كبير من أبناء الجيل الجديد لا يستطيع كتابة تقرير أو تعليق أو موضوع بالعربية الصحيحة، ومثل هذا الجيل هل يتوقع منه بناء حضارة أو الحفاظ على تراث؟ أعتقد أن من أهم فوائد إتقان العربية استيعاب معالم ثقافتنا من مصادرها الأصيلة، ومن ثم تقديمها للآخرين سليمة غير مشوهة، إن إتقان أبنائنا للعربية، وإثراء حياتنا الثقافية والفنية، والإعلامية يجعل أبناءنا ينهلون من نبع نتاجنا الأدبي مما يضمن لنا تشكيل عقول تعي تاريخنا وحضارتنا وبذلك تكون مسلحة ضد أي غزو فكري، فلو لم يجد الشباب ما يشبع تعطشهم للمعرفة سعوا للحصول عليها من مناهل أخرى، وعندها سوف تتشكل عقولهم على نسق عقول من قرأوا لهم وأخذوا عنهم، وفي ذلك ضياع تام وكارثة حقيقية.

إن استيعاب الثقافتين الإسلامية والعربية، يساعد كثيرا على نشر المعرفة بهما، كما يعد دعما للجهود المبذولة التي تحاول ضمان استمرار العربية لأداء وظائفها الحضارية في عالم تتصارع فيه اللغات، وستكون الغلبة لمن يُعنى بلغته أكثر، ويوليها ما تستحق من جهود وتضحيات، وهذا يفرض علينا ألا نعيش بمعزل عن العالم، بل علينا أن نتبنى منهج ازدواجية التكوين الفكري، ونعني بذلك الاعتماد الأصيل على مصادرنا الفكرية مع الاطلاع على مكونات الفكر لدى غيرنا، يشير أحمد شيخ إلى ذلك حيث يقول: "... ومن البدهي أن نشير إلى أن الإسهام الحضاري الحديث لهذا التخصص (يعني التخصص في العولمة والأسلمة) مرتبط بمدى إسهامه في أنشطة عصر الانفتاح الحضاري ومساندته لجهود الأسلمة فكرا وسلوكا وثقافة ومعرفة، ولا يبرز دور اللغة وثقافتها وآدابها إلا من خلال الفعل الحضاري للناطقين بها بوصفها لغة أولى، والفعل الحضاري للناطقين بها بوصفها لغة ثانية من خلال الوظائف الحضارية التي اختاروا استخدام هذه اللغة لأدائها"[12]

ولكن ينبغي ألا يؤخذ هذا الأمر على عواهنه، فاليقظة والحذر أمران أساسيان عندما نريد أن نزاوج بين العولمة والأسلمة، فرغم أن للعولمة محاسنها إلا أن بعض مراميها غير بريئة أحيانا، أو على الأقل تتعارض مع ثوابتنا مما يعد أمرا لا يحتاج إلى مزيد من الأدلة والبراهين.

الأمر الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقه هو ربط الماضي بالحاضر من أجل المستقبل، فعدم استلهام الماضي يخلق هوة سحيقة، السقوط فيها يعد سقوطا مهلكا، كما يعد تفريطا في أمانة عظيمة، وتاريخ صنعه الأجداد بجهد وعرق لا يثمن بمال، وهذا النوع من السقوط يرجوه لنا عدونا ويسعى إلى تحقيقه، وأكاد أقول إن ما ينفقه أعداؤنا في سبيل خلق تلك الفجوة بين الماضي والحاضر أكبر بكثير مما نبذله نحن في سبيل الإبقاء على وصل الحاضر بالماضي. يقول صمويل هونتنجتون: "روح أي حضارة هي اللغة، والدين، والعادات والتقاليد"[13]

وثالث الفوائد التي يمكن أن نجنيها من تعليم لغتنا العربية للناطقين بغيرها، توسيع رقعة المتحدثين بالعربية، الأمر الذي يساعد على التواصل، وخاصة عندما تظهر بعض الأحداث العالمية التي تتعلق بالدول العربية، فبدلا من أن تكون معرفتهم مقصورة على القنوات الغربية فحسب، أو من خلال الترجمة التي لا تخلو أحيانا من أخطاء، تكون هناك فرصة لتلقي الأخبار أيضا عن طريق الوسائط العربية مما يتيح لنا عرض وجهة نظرنا التي يمكن أن تكون سببا لتأيدينا في كثير من المحافل.

نظرا للاهتمام العالمي الكبير باللغة العربية في الآونة الأخيرة، ولأغراض مختلفة، فإن ذلك يدعونا للتفاعل مع الأحداث، والإفادة من تلك الفرصة الثمينة، فعلينا أن نخصص ميزانيات كبيرة من أجل إعداد معلمين مؤهلين لتعليم العربية للناطقين بغيرها، بحيث يكون المعلم قادرا على جذب المزيد من المتعلمين، ولا يكون عنصر تنفير من تعلم العربية كما نشاهد ذلك كثيرا، حيث يتم الاعتماد في تدريس العربية على من يتكلم العربية، وهذه قاعدة خطيرة كانت سببا في تكوين اتجاهات سلبية عن العربية وإمكانية تعلمها، فنحن نحتاج إلى معلم، مؤهل، ومنهج مقنن متقن على مستويات عناصر المنهج السبعة، توفير ذلك يحتاج إلى تمويل ضخم، وجهود فكرية كبيرة، يسهم بها المختصون والتربويون، ورغم أن المزانية كبيرة إلا أن العائد أكبر بكثير، سواء على المستوى المادي والمعنوي، ولنا في كثير من الدول التي استعانت لفترة طويلة بمعلمين من العرب خير مثال، وذلك مثل دولة الصومال، وكثير من دول جنوب شرق أسيا، وبعض دول روسيا وغيرها ، وجدير بالذكر أن هناك بعض الدول غير العربية التي جعلت تدريس اللغة العربية في بعض مدارسها إلزاميا ولكن بمسويات مختلفة، وتعد ماليزيا من تلك الدول، ولم يقف الأمر في ماليزيا عند حد تعليم العربية في المدارس، بل تجاوزت ذلك إلى الجامعات، فهناك الكثير من المواد يدرس بالعربية، فضلا عن أن إحدى الجامعات الماليزية وهي الجامعة الإسلامية العالمية جعلت اللغة العربية متطلبا ينبغي لجميع طلابها دراسته، لمستوى معين وفقا لتخصص الطالب، فجميع الطلاب يجب عليهم معرفة شئ من العربية. يقول أحمد عفيفي تحت عنوان طرق التفاعل الحضاري: "هناك طريقان للتفاعل الحضاري العالمي: الأول: مباشر، وهو

التعامل مع الثقافات والحضارات المختلفة عن طريق التعلم اللغوي للغة التي يتعامل بها الآخرون، ويصنع ذلك نوعا من التفاعل وعمقا في الحوار، ويسهل معرفة الخلفيات الفكرية والظلال الثقافية لحضارة ما، مما يساعد على تنمية درجة الوعي والتفاهم الحقيقي"[14]

**أثر التكنولوجيا على اللغة العربية**

كان ومازال للتكنلوجيا وتطبيقاتها المختلفة منذ ظهورها الأثر الكبير على اللغة العربية إيجاباً وسلباً. فاللغات بشكل عام تتغير ببطء مع مرور الزمن لكن ظهور الشبكة الدولية (الانترنت) سرّع من هذا التغير لهذا أصبح أكثر وضوحا. فانتشار الانترنت أحدث تحولاً كبيراً في كافة نواحي الحياة، وأصبح مصدراً لتلقي العلوم واكتساب المعرفة لجميع فئات المجتمع.

ولهذا فإن إعمال التكنلوجيا في اللغة العربيّة يُعدّ المطلب الأبرز والتحدّي الأكبر في عالم اليوم الذي يتميّز بوفرة المعلومة وسيولتها وسهولة تداولها بالاعتماد على التقنيات الإعلاميّة والتكنلوجيا الرقميّة. فأصبح تتبع الأفكار الحديثة والاستفادة من الجهد الابتكاري للإنسان وما توصل إليه من اختراعات أمرا ضروريّا وحاجة ملحّة يقتضيها مطلب التحديث ومواكبة العصر.

ويلاحظ المتابع لمواقع الانترنت ضحالة المادّة المعرفيّة العربيّة المعروضة، فحجم المحتوى العربي على الإنترنت لا يتعدّى في أفضل الإحصائيّات نسبة 3 % من المحتوى المعرفي العالمي للشّبكة، وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بغيره من اللغات، خاصة إن علمنا أن الجزء الاكبر من المحتوى العربي مترجم.

يقول إبراهيم الهدهد[15]: "والفجوة الرقمية تتسع يوما بعد يوم إن لم يكن ساعة بعد ساعة، فعدد الموضوعات المكتوبة مثلا في (ويكيبيديا) باللغة البولندية على سبيل المثال يساوي عشرة أضعاف ما هو مكتوب باللغة العربية تقريبا، كما توجد ملايين المحاضرات والمقالات العلمية والتمارين،والتجارب العلمية،والدراسات والأبحاث المقدمة بطرق تربوية تفاعلية ثريّة طازجة في كل اللغات إلا العربية".

ورغم أن عدد متحدثي اللغة العربية حول العالم يبلغ 350 مليون شخص، إلا أن نسبة انتشار الانترنت بينهم لا تتعدى 40%. وتحتل اللغة العربية المركز الثامن عالميًا ضمن أعلى 10 لغات استخداما على شبكة الانترنت. ومن المتوقع أن يزداد استخدام اللغة العربية في شبكة الانترنت حيث إن السنوات القليلة السابقة شهدت نمواً في استخدام اللغة العربية بنسبة 25.1% بين عامي 2000 و 2012. [16]

قد يُلاحظ أن هناك نموا متسارعًا لكنه لا يرقى إلى مستوى الطلب عليه ولا إلى ما عليه الحال لبقية اللغات. من هنا يبدو أن المحتوى ليس شحيحاً فقط، كما يصفه الدارسون ومراكز البحث والإحصاء، بل ضعيف أيضاً من حيث النوع والفائدة، إذا ما تم استثناء بعض المواقع الفاعلة. وإذا ما أمعنا النظر في هذا المحتوى العربي فسنجد أن بعضه مكرر في أكثر من موقع الكتروني، والبعض الآخر ركيك وقد يكون مكتوبا بلغة عامية لاتخدم أغراض تعليم العربية الذي يساعد على إثبات هويتنا.

كل هذا يجب أن يدفعنا إلى النظر في آلية تعاملنا مع المحتوى الإلكتروني العربي وتجديده ليواكب الكم الهائل للمعلومات من ناحية. ولينقل إلى المستخدم العربي منتجات العقل البشري المبدع ومنجزات البلدان العربيّة وفضائلها الثقافيّة والحضاريّة قديما وحديثا من ناحية أخرى، على نحو يسهم في تقديم صورة لائقة تليق باللغة العربية والفرد العربي اليوم. فمن المهم أن نخرج بالعربيّة من صفحات الكتب الصفراء والمجلّدات التراثية القديمة إلى صفحات الانترنت ومواقع التواصل التفاعلي الإلكتروني. فحوسبة اللغة العربيّة مطلب ضروري وملحّ يمكن تحقيقه بتكوين فرق بحث تتألف من أهل اختصاص من لغويّين وإعلاميّين ومترجمين يعملون على نقل المعارف، وإنشاء المصطلحات الجديدة، وحوسبة المحتوى المعرفي باللغة العربية[17]. ويضيف الهدهد:[18] "إن حماية اللغة العربية بصفتها أهم أسس القومية والهوية يتبلور في استكشاف الآليات التي تساعد على تدارك النقص الهائل في المحتوى العربي على الشبكة، لرسم الملامح الوطنية والحفاظ على الهوية العربية".

**ماذا قدمت التكنلوجيا للغة العربية؟**

لا شك أن التكنلوجيا أسهمت في تغيير معرفي ملحوظ في كل جوانب العلوم، حيث سهلت العديد من الصعاب أمام طلبة العلم فقربت المسافات، ويسرت السبل، وأتاحت الفرص. فالعلم والمصادر المعرفية التي كانت قبل عقدين من الزمن تنحصر في المكتبات والجامعات والمعاهد وغيرها من دور العلم، أصبحت اليوم في متناول الجميع بدءًا من الحاسوب والانترنت إلى الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية.

وفي مجال اللغة العربية أصبحت آلاف الكتب والأبحاث والمقالات في جميع المجالات متوفرة بتكلفة زهيدة.

كما قدمت التكنلوجيا فرصة التعليم الإلكتروني التي أتاحت إمكانية ربط العلماء وطلبة العلم فيما بينهم للتدارس والتواصل. فالتعليم الإلكتروني يواكب روح العصر الذي نعيشه، عصر التطورات التكنولوجية والعلمية الواسعة، فهذا النوع من التعليم يعتمد على التقنية التكنولوجية الحديثة من جهاز كمبيوتر وشبكة

إنترنت وغيرها. وهو بهذا الشكل يوفر فرصة للتعليم بأعظم الفوائد وأقصر وقت وأقل تكلفة، ومنه ظهرت الحاجة إليه في العديد من المجالات ومنها اللغة العربية. وتتمثل ملامح هذه الحاجة في مواجهة الطلب المتزايد على اللغة العربية، وتعزيز دور التعليم العالي العربي في تنمية صناعات المعرفة من خلال التعليم الإلكتروني. غير أن استخدام التعليم الإلكتروني في العلوم والمعارف المتصلة باللغة العربية تصطدم على أرض الواقع بالعديد من المعوقات، كما أن تجارب الدول العربية التي خاضت هذا المجال لا تزال حديثة العهد ومتواضعة.[19]

بالاضافة إلى ذلك فقد ساهمت التكنلوجيا في حوسبة اللغة العربية عن طريق عدد من برامج الحاسوب المهتمة بهذا الجانب والتي تشمل تصميم وتطوير لغات البرمجة باللغة العربية. ومع أن هناك قصور كبير في هذا الجانب وهو العرض الشكلي للغة العربية على الشاشة، إلا أن المشكلة الأكبر تكمن وراء غياب آليات صياغة الصناعات اللغوية او تكنلوجيا اللغة فيما يتعلق باللغة العربية وهو التفاعل الحاسوبي مع اللغة عن طريق توليد اللغة وفهمها والتفاعل والتجاوب معها.[20] ورغم الجهود المبذولة للإفادة من التكنولوجيا لخدمة اللغة العربية، إلا أن الأمر يحتاج لمزيد من الجهود المكثفة والمنظمة، "إن استعمال اللغة العربية على الشبكة (الإنترنت) - وهي الوعاء الأكبر للمعرفة المتوفرة اليوم - يتطلب أدوات معلوماتية أساسية، تعتمد على حوسبة اللغة العربية وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً، وأهم هذه الأدوات هي محركات البحث والمعاجم، وما يتوفر منها حالياً لا يسدّ الحاجات, ولايرقى إلى مستوى الأدوات المماثلة في لغات أخرى"[21]

وكذلك البرامج المهتمة بخدمات التّرجمة الفورية من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات وبالعكس، للنصوص الطويلة باستخدام آلية التّرجمة يعد من أحد أنظمة الترجمة المعروفة على الساحة، والتي تحتاج إليها اللغة العربية بشدة في هذا المجال. "كما أن أغلب المجالات العلمية والثقافية تخلو من الترجمة إلى العربية في حين تترجم - غالبا - إلى لغات أقل تداولا من العربية بكثير، ويكفي أن نعرف أن ما ترجمته إسرائيل في السنوات العشر التي تلت تأسيسها يفوق كل ما ترجمه العرب منذ بدء القرن التاسع عشر إلى اليوم.[22]"

مما تقدم تتضح إسهامات التكنلوجيا في خدمة اللغة العربية، غير أنها إسهامات قليلة ومتواضعة تحتاج إلى المزيد من الجهد والعمل الدؤوب ومشاركات من فئات فاعلة في المجتمع العربي من قيادات تربوية وتعليمية ولغويين ومهندسين ومبرمجين، إضافة إلى جهد تعاوني وبحوث أكاديمية تتعلق في هذا المجال من قبل الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم العالي، ونود أن ننبه في هذا الصدد إلى أن مجالات

الإفادة من الحاسب الآلي لا تقف عند حدود ما يعرف بحوسبة اللغة ورقمنتها، وتصميم برامج المعالجة اللغوية، وعمليات الإحصاء والتحليل، أو تصميم برامج الترجمة الفورية من وإلى العربية، أو عمليات المسح الضوئي، فكل ذلك على أهميته فإنه يحتاج إلى متخصصين في هذه المجالات، ولكنا نجد أن إمكانات الحاسب الآلي من المرونة والسعة بالقدر الذي يسمح لكل من يريد الاستعانة به تعليما وتعلما أن يجد الفرصة متاحة، ومواقع وبرامج التواصل الاجتماعي خير دليل على ذلك، فاستعمالها لا يحتاج إلى براعة فائقة، وكذلك البرامج التي يستعان بها في التعليم من الكثرة بحيث لا تترك فرصة لكسول كي يعول على صعوبة استخدامها، وكل ما نحتاج إليه في هذا المجال القدرة على الابتكار والإبداع، وقليل من التدريب الذي تتبعه الممارسة الفعلية، حيث إن الزمن الذي نعيشه أصبح لا يفرق بين فترة التعليم والعلم، بل جعلهما متلازمتين، ومتوازيتن، فلم يعد المعلم أو المدرسة المصدر الوحيد للمعرفة.

ومع كل هذه المزايا ينبغي علينا ألا نغفل الآثار السلبية للتكنلوجيا، ومنها التأثير على مهارات الخط والكتابة باللغة العربية، فهذه المهارة ستتأثر تأثيرا سلبيا لدى الشخص المكثر من استخدام الحاسوب كونه يستخدم لوحة المفاتيح للكتابة، إضافة إلى الإكثار من اللجوء إلى الاختصار في الكلمات في كتابة الرسائل النصية وغرف المحادثة ومواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت.

الخاتمة:

تعاني اللغة العربية من العديد من المشكلات سواء على مستوى تعليمها وتعلمها محليا ودوليا، أو على مستوى نشرها عالميا، إن قيمة اللغة العربية وتاريخها، وإسهاماتها الحضارية يُوجب على أبنائها إلزاما العمل على حل تلك المشكلات، والتصدي لكل التحديات التي تواجه مشكلات تعليم ونشر العربية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك عشوائيا، بل ينبغي أن تكون هناك سياسة لغوية واضحة، وتخطيط لغوي يُسهِم في رسم خطوطه الخبراء المخلصون من أبناء الأمة العربية كافة، وهذا لا يعني إهمال وضع تخطيط لغوي إقليميا لمواجهة التحديات الخاصة. من الأمور الهامة التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار دور التكنولوجيا الكبير الذي يمكن أن تلعبه في هذا المجال، علما بأن التكنولوجيا ليست هدفا في حد ذاته، بل وسيلة أثبتت الدراسات والبحوث فعاليتها في مجال تعليم وتعلم اللغات.

# المراجع


[1] السياسة والتخطيط اللغوية من الاستعمار الى العولمة اللغوية
جميل عبدالله https://www.facebook.com/drjamil.abdulla2/posts/367642133362012

[2]http://ar.wikipedia.org/wiki

[3] انظر في ذلك مثلا: أ.د. عبد الرحمن بدوي (1984). موسوعة المستشرقين، (ط 1) ، بيروت، دار العلم للملايين، و العقيقي، نجيب (1980). المستشرقون، 3 أجزاء، (ط 4)، القاهرة: دار المعارف

[4] انظر كتاب: نحو وعي لغوي، للأستاذ الدكتور مازن المبارك (مؤسسة الرسالة، بيروت. 1979م) ص: 130 وما بعدها

[5] أناف جريدة مغربية إليكترونية، الجمعة 13/ ديسمبر 2013 http://www.anaaph.com/p-393

[6] اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، أ.د. كمال بشر، (ط دار غريب، القاهرة: 1999م)

[7] العروة الوثقى بين الارتقاء بمناهج وطرق تعليم اللغات والنمو الحضاري، د. فؤاد رواش إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، الجزء الأول (2007م) ص 245

[8] انظر في ذلك مثلا: الضعف العام في اللغة العربية، د. عبد اللطيف أحمد الشويرف، عضو مجمع اللغة العربية الليبي. http://uqu.edu.sa

[9] هناك العديد من المواقف المماثلة لذلك غير أن المجال لا يسمح للتعرض لها.

[10] تعليم العربية ... إلى أين؟ أ.د. عبده الراجحي ورقة مقدمة لمؤتمر إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري. ج 1 2007

[11] غرس وتفعيل مفهوم وحدة الأمة. د. فؤاد رواش،مجلة وحدة الأمة، المعهد العالمي لوحد الأمة، العدد الثاني، ديسمبر 2004

[12] العولمة والأسلمة خيار مزدوج للتخصص في اللغة العربية، أ.د. أحمد شيخ عبد السلام، ورقة مقدمة لمؤتمر إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري ج 1/ 2007

[13]. العولمة اللغوية، أ.د.أحمد شيخ عبد السلام، مجلة وحدة الأمة، المعهد العالمي لوحد الأمة، العدد الثاني، ديسمبر 2004

[14]- أ. د. اللغة وحوار الحضارات في عصر العولمة، أ.د. أحمد مصطفى عفيفي، ورقة مقدمة لمؤتمر إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري.

[15]- إبراهيم صلاح الهدهد أ.د.، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول،1/21/ 2013 http://azhar-ali.com

[16] http://ar.wikipedia.org/wiki/ لمحتوى العربي على الانترنت، موسوعة ويكيبيديا

[17] للّغة العربيّة وتكنولوجيا القرن الواحد والعشرين، أ.د. أحمد مكي الطاهر الرقيم مجلة للآداب العربية. مايو، 2012
http://www.arrakem.com/ar/Index.asp?Page=594

[18]- مرجع سابق، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول

[19] التعليم فى الوطن العربى أمام التحديات التكنولوجية، د. إبراهيم عبد الله الهجرى، كلية العلوم (قسم الفيزياء)- جامعة صنعاء- الجمهورية اليمنية

[20] اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، في المؤسسات التعليمية في جمهورية مصر العربية، أ.د. محمد حسن عبد العزيز الواقع والتحديات واستشراف المستقبل"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. الثلاثاء 15 ربيع الآخر 1426هـ- 24 أيار 2005م-

[21] مرجع سابق، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول

[22] مرجع سابق، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول